نظرات في دعوة المبشرين

للشيخ ممدوح فخري المدرس فى الجامعة الاسلامية

تميز عصر النهضة فى اوربا بالنسبة للمسيحية بظاهرتين متناقضتين ، ظاهرة الانكماش فى الداخل وظاهرة الانطلاق فى الخارج ، وذلك حينما انجلى الصراع المرير بين الدين والعلم أو بتعبير أدق بين رجال الدين وتيار التطور العلمى الهائل الذى بدأ فى اوروبا ، انجلى ذلك الصراع بهزيمة مروعة لرجال الدين ووضع بذلك حد لذلك الطغيان الذى مارسه أولئك الرجال باسم الدين عبر القرون وكانوا سدا منيعا أمام كل حركة فكرية حرة تحاول اخراج الناس من حكم هذا الكابوس الرهيب الذى يفرض سلطانه باسم الله ، ويعتبر كل خروج عليه خروجا على الله ، ويبطش البطشة الكبرى مستهدفا الرؤوس المفكرة والعقول الكبيرة ورواد العلم والمعرفة الذين يهددونه فى وجوده وكيانه .

ولكن سنن الله الكونية لاتغالب والظلم لايدوم ولا يستطيع أحد ان يحول بين العقل وبين استخدام حقه الطبيعى فى التفكير والانطلاق ، ولا يستطيع الطغيان ان يكون حاجزا أبديا امام العلم والمعرفة والحرية لذلك سرعان ما انهارت السدود « المقدسة » أمام زحف التيار العلمى والتقدم الفكرى وازيحت الكنيسة ورجالها كعقبة رئيسية فى طريق التطور وفقدوابذلك كلسلطان لهم فى المجتمع فاقصوا عن مراكز الحكم وطردوا من المدارس وانتزعت منهم اداة التوجيه والتربية وانزوت المسيحية فىالكنائس والاديرة وسجنت هناك ولم يعد يسمح لها بأن تدس بأنفها باسم رجالها فى شؤون الناس.

أمام هذا الانهزام بحث رجال الدين المسيحى عن ميدان آخر يمارسون فيه نشاطهم ويعرضون فيه بضاعتهم وقد نبذتهم أرضهم ولفظهم اهلهم وابناؤهم .

وكان المجال الطبيعى لهم هو البلاد المتخلفة دينيا وحضاريا ، وكان العالم الاسلامى فى مقدمة هذه البلاد المتخلفة لذلك كان الهدف الرئيسى للمبشرين الذين انطلقوا فى الارض يبشرون لا بالديانة المسيحية ولكن بالاستعمار الجديد الذى كانوايمثلون طلائعه فى كل بلد ، وكانت مراكزهم ومدارسهم القواعد الفكرية التى مهدت للاستعمار وروجت للغزو الفكرى والحضارى .

Made With Pdf Office

وأوجدت القابلية للاحتلال وقدمت المبررات والمسوغات لهذا الغزو باسم العلم والمدنية وعلى انه الطريق الوحيد للتقدم والرقى واللحاق بركب الحضارة ، وقد خدمت حركة التبشير هذه جهتين مختلفتين : الجهة الاولى: هم المبشرون الذين وجدوا مصدرا جديدا للارتزاق بعد ان سدت فى وجوههم ابواب الرزق فى بلادهم ، والجهة الثانية هى الدول الاستعمارية « اللادينية » التى تولت طرد هؤلاء من بلادهم ثم امدتهم بعد ذلك بالمال الوفير لا ايمانا منها بدعوتهم ولكن لان المبشرين كانوا ولم يزالوا طلائع الغزو الاستعمارى والممهدين له بغزو فكرى مسبق . وعلى هذا الاساس كان هذا التلاقى الغريب بين الاضداد فى حركة التبشير .

ولقد حمل المبشرون أوزارهم وجاؤوا يدعون اليها فى بلاد المسلمين، جاؤوا ببضاعتهم المزجاة وتجارتهم البائرة التى لم تجد لها سوقا رائجة بين ابناء جلدتهم جاؤوا الى بلاد المسلمين آملين ان يجدوا سوقا نافقة لبضاعة اعرض عنها اهلها وذووها جاؤوا ليجدوا أمة غنية فى العقيدة غنية فى الشريعة غنية فى الاخلاق غنية فى التراث العلمى العريق ، ذات ماض مجيد وحضارة مشرقة تتلألأ فى بطون التاريخ ، ووجدوا مع ذلك كله تخلفا مريعا فى ميدان العلم والاخذ باسباب الحياة الجديدة ومسايرة ركب الحضارة ، مع جهل فاضح بالدين الذى ينتمون اليه وبالتراث الذى ينسب اليهم .

أضف الى ذلك فقرا مدقعا يعم امة تتحكم فى مصادر الثروة فى العالم تقريبا . ومن هذه النوافذ الكبرى والفجوات الواسعة فى حياة المسلمين تسرب المبشرون الى بلادهم ثم الى قلوبهم وافكارهم وكان ذلك الانقلاب الهائل فى حياة المسلمين على ايدى المثقفين من ابنائهم الذين ربوا فى محاضن التبشير وغذوا بألبانهم الفاسدة المصبوغة بصبغة العلم والمعرفة ، ذلك الانقلاب الذى يتجسد فى جماهير المثقفين المرتدين من ابناء المسلمين ، المتنكرين لدينهم ولتاريخهم ولتراثهم الفكرى والعلمى والقابلين ان يتنازلوا عن مكانتهم فى التاريخ ومركزهم فى العالم وان يسيروا فى ذنب القافلة يقلدون غيرهم ويحكون اقوالهم واعمالهم بعد ان كانوا ممسكين بقيادة الانسانية يوجهونها وجهة الخير باذن الله .

ولكن المبشرين لم يحملوا الى بلاد المسلمين شيئا يفتقرون اليه ولايجدونه عندهم . فما هو المعنى الجديد الذى جاء به المبشرون ولم يجدوا لدى المسلمين ما هو افضل منه ؟

ما هو المثل الاعلى الذى اتوا به ولم يجدوا عند المسلمين أكرم منه وامثل ؟ ما هى القيم الدينية والخلقية التى اتوا بها ووجدوا المسلمين أفقر واحوج اليها منهم . اجل لقد أتوا بالوسائل العلمية الجديدة واتوا بمبتكرات حديثة فى الميدان المادى

Made With Pdf Office

الخالص ، وببعض انواع العلـــوم العصرية التى كانوا يستخدمونها فى الحقيقة كستار وحجاب يستر غرضهم الاساسى وهدفهم الحقيقى وهـــو التمكين لانفسهم ولافكارهم فى بلاد المسلمين وذلك بمحاربة الاسلام فى نفوس ابنائه بأساليبهم الملتويـــة الماكرة .

وهنا لابد من الاشارة الى بعض الحقائق البارزة فى دعـــوة المبشرين والقاء الاضواء العابرة على ما فيها من عيوب بادية تصدم العقل السليم والفطرة النظيفة ، للمسلمين عقيدتهم وشريعتهم ومنجهم الكامل فى الحياة ونظرتهم المتكاملة فى الكون والحياة والانسان وكل ذلك منبثق من كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام فما هى عقيدة المبشرين وما هـــى شريعتهم وما هو منجهم الكامل وما هو كتابهم ومن هو رسولهم ، وما هو تاريخهم ؟ .

وأما عقيدتهم : ففيها الطامـــات الكبرى وأولى هذه الطامات عقيـــدة التثليث : تلك العقيدة المستعصية على العقول ، وذلك اللغز المعقد الـــذى عجز عن حله اساطين المسيحية عبر القرون لان كون الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا وكون كل واحد من الثلاثة هو عين الاخرين شىء تأباه مسلمـــات العقول ، وشىء يصطدم مع البديهيات بل هو مما يستحيل فهمه على الانسان ولهـــذا تشعبت آراء النصارى فى تفسيره فجمهورهم يقولون هـــذه عقيدة وردت هكذا فى الكتاب المقدس، فينبغى قبولها كما هى لانهـــا ثبتت بالنص ، وبعضهم يقول : هذه الاقانيم الثلاثة هى كالصفات للموجود الواحد ومن هؤلاء الفيلسوف الالمانى الشهير كانت حيث يقول : ان الاب والابـــن ورح القدس انما تدل علـــى ثلاث صفات اساسية فى اللاهوت وهـــى القدرة والمحبة والحكمة أو على ثلاثة فواعل عليا وهى الخلق والحفـــظ والضبط .

وكل كلام فى الحقيقة فى هذا الثالوث عبث وذلك لان العقول لم تعط القدرة على فهم المستحيلات ، هذه هـــى العقيدة التى يريد المبشرون مـــن المسلمين ان يقبلوها ويتخلوا فى سبيلها عن عقيدتهم الواضحة التـــى تغزو القلوب والارواح ببساطتها وملاءمتها للفطر السليمة والعقول المستقيمة ، إله واحد متصف بكل كمال منزه عن كل نقص ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، ارسل الرسل وانزل الكتب وكلف الناس بتعاليم وتكاليف هى فى مقدورهم وجعل لهم يوما لاريب فيه يحاسب فيه كل انسان على ما قدم بالعدل والقسطاس المستقيم . هذه هى العقيدة التى تجتذب اليها القلوب اجتذابا والتى يريـــد المبشرون ان يتخلى عنها المسلمون ليؤمنوا بدلا منها بعقيدة لاتجد لها مكانا اصـــلا لا فى العقل ولا فى القلب . مع العلـــم بأن عقيدة الثالوث عقيدة وثنية معروفة فى التاريخ عند المصريين والهنـــود وغيرهم . ومن عقائدهم أيضـــا : الصلب والفداء : ومعنى هذه العقيدة

Made With Pdf Office

باختصار شديد ان الناس جميعا يولدون عصاة آثمين وذلك لانهم يرثون معصية أبيهم آدم . وقد جاء المسيح وهو الاله وابن الاله ليصلب ويفتدى خطايا اتباعه الذين يولدون وهم موصومون بها . والاسلام يحل هذه المشكلة ببساطة متناهية : فيقول القرآن الكريم : وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . وعند هذا انتهت هذه القصة التى جعلها النصارى معضلة مبنية على أساس التعارض بين عدل الله ورحمته بين عدل الله الذى يصر على معاقبة آدم العاصى ورحمته التى تصر على مغفرة ذنبه ، ثم لايكون المخرج من هذا النزاع الا بالفداء وصلب المسيح الاله وابن الاله ، وكأن التوبة لم تخطر لهم على بال . وعلى هذا فالانسان فى ظل الاسلام يولد نظيفا بريئا وعلى الفطرة ولا يتحمل آثام غيره التى لم يتسبب فيها . وهو يتحمل تبعة التكليف ويحاسب على ما كلف به فقط . ومن عقائدهم : عصمة الكنيسة وعلى رأسها البابا فى فهم الكتاب المقدس وفيما يجتمع عليه الرأي وهذا فى الحقيقة الزام بالخطأ من انسان يشهد العقل والحس بعدم عصمته ، وجعل الكنيسة مصدرا دائما من مصادر التشريع ، وهذا لايعدو عبادة الرأى والعقل والهوى ، وفرق بين عصمة الكنيسة واجماع المجتهدين من أئمة الاسلام وذلك لان اجماع المجتهدين لايكون الا على دليل ومستند من كتاب أو سنة ومن عقائدهم : توسط رجال الدين بين الله وعباده وانهم يمنحون البركة والمغفرة باذنه ويقسمون رحمة الله بين خلقه فيمنعونها عمن يشاؤون ويعطونها لمن يشاؤون .

وقد استغل رجال الدين هذه المكانة اشنع استغلال واصبحوا يتصرفون بجنة الله وهم فى الارض وكأنهم يمارسون سلطة الا ه،وحادثة بيع صكوك الغفران فى اوروبا كلها أمر شائع فى التاريخ ، حيث طبع احد البابوات بطاقات يبيع بموجبها مساحات من الجنة وذلك لقاء مبلغ من المال . وكراسى الاعتراف تشهد كل حين اعترافات المذنبين أمام رجال الدين بجميع الذنوب التى اقترفوها وذلك ليغفرها هؤلاء أو ليتوسطوا لمغفرتها — وقد حرر الاسلام الانسان من هذه الوساطة وفتح امامه ابواب السماء واطلقه من هذه الوصاية وقد أونس منه الرشد ، وربطه مباشرة بربه يتصل به متى شاء واين شاء : واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان .

أضف الى ما سبق تقييد أماكن العبادة فى الكنائس فقط مع ما فى هذا من الحجر على عباد الله وتضييق الارض الواسعة ، مع عبادة مريم عليها السلام عند بعضهم وعبادة القديسيين الذين لايعلم عددهم الا الله ، وعبادة هؤلاء غالبا ما تكون بالتوسل بهم والاستعانة وتعظيم صورهم التى قلما تخلو منها كنيسة . ونحن نعلم ان الفرق المسيحية ليست

Made With Pdf Office

مجمعة على جميع ما ذكرنا ، ولكن الفرقة التى لاتوافق على شىء مما ذكرناه ، فانها تقترف شيئا آخر هو أعظم بكثير مما استنكرته .

هذه لمحات عن عقائد المبشرين ولم نقصد الاستقصاء وفيما ذكر عبرة لمعتبر . وأما شريعة هؤلاء ، فلا وجود لها فى الحقيقة والواقع وذلك لان الانجيل حال عن كل تشريع وهو مجموعة مواعظ وارشادات اخلاقية وهو العهد الجديد واما العهد القديم وهو التوراة ففيها شريعة ورغم انها شريعة محدودة وشريعة شعب خاص وتفرق بين اليهودى وغيره فى المعاملة ومع ذلك فان المنسوبين الى المسيح عليه السلام كتلاميذ فقد نسخوا شيئا كثيرا منها وفى بعض الروايات نسخوا جميعها وذلك لما منحوه لانفسهم من حق التشريع وهو نقلهم عن المسيح عليه السلام انه قال لهم قبل وفاته بزعمهم : ما حللتموه فى الارض محلول فى السماء وما ربطتموه فى الارض مربوط فى السماء .

وقد استعملوا هذا الحق فى نسخ ما شاؤوا من شريعة التوراة رغم اقرار المسيح لها : واذ قال عسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن قول المسيح المروى فى الانجيل ما جئت لانقض الناموس (وهو التوراة)ولكن لاتمم .

ونظرا لهذا الافتقار الى الشريعة التى تنظم سائر احوال الامة كانت الامم المسيحية عالة على غيرها واحيانا على غير المؤمنين فى التشريع وما قيمة دعوة لا تملك تشريعا ينظم احوال المؤمنين بها . واما الشريعة الاسلامية فهى تحمل شهادات دولية من مجامع قانونية عالمية على اصالتها وشمولها لجميع احوال الانسان وقابليتها للتطبيق فى كل زمان ومكان وهذه كتب التراث الاسلامى تشهد بكل ذلك . ومع هذا فالمبشرون يريدون من المسلمين العدول عن هذا الصراط المستقيم الذى تولى الله سبحانه رسمه واقامة معالمه وانا سعادة الانسان به ، الى لاشىء . فاعجبوا ايها الناس .

ان المتأمل فى كتب المبشرين واسفارهم المقدسة يخرج بنتيجة حتمية واحدة وهى ان هذه الدعوة لا تملك لا عقيدة ولا شريعة وخلاصة ما تدعو اليه بعض مكارم الاخلاق كالزهد والحلم والتواضع ولين الجانب والاقبال على العبادة والتنسك وهذا لاشك جانب من الدعوة ولكن لابد مع هذا من عقيدة تقنع العقل وتشبع القلب ومن شريعة تنظيم سلوك الانسان وترشده فى متاهات الحياة ونظرة متكاملة تعطى الانسان تفسيرا عن هذا الكون . وكل هذه الامور تفتقر اليها دعوة المبشرين .

بل نقول أكثر من هذا وما نحن بمبالغين وهو ان هذه الدعوة تفتقر الى الاصول والمنابع الاولى التى

Made With Pdf Office

تستمد منها افكارها وآراءها ومبادئها وذلك لان ما تعتمد عليه من كتب مقدسة ومن سيرة صاحبها الاول وهو المسيح عليه السلام لايصلح أن يكون أساسا لدعوة متكاملة لا من حيث النقل والثبوت ولا من حيث المضمون والمحتوى .

وأما من حيث النقل والثبوت فمن المتفق عليه عند المؤرخين والمنصفين من الناس ان اية أمة من امم الارض لاتستطيع ان تروى عن نبيها خبرا واحدا من كتاب أو سنة يرقى الى مرتبة اخبار الآحاد عند المسلمين وان بين هذه الكتب ومن انزلت اليهم مفاوز من الانقطاع والمجاهيل التي لايدرى عنها احد شيئا وكذلك الاقوال المروية عنهم لايعرف لها سند اصلا ، وانما وجدت هكذا وولدت كما هى وقبلت كما وجدت وكما ولدت .

واما العهد القديم الذى هو التوراة فقد ضاعت باجماع المؤرخين من اليهود والنصارى وذلك حينما غزا البابليون بيت المقدس وأحرقوا هيكل اليهود وان التوراة الماثلة بين أيديهم فهي التوراة التي أعاد كتابتها عزيز بخارقة تمت على يديه فاليهود والنصارى عالة على عزيز هذا فى اصل دينهم ، وهذا كما ترون شيء لايستسيفه العلم ولا يقره وذلك ان يعيد رجل كتابة كتاب مفقود بواسطة وحى جديد أو بواسطة حلم أو تجلى ملك أو بقذف نور فى قلبه ، أو بشر به من ماء مبارك أو أكلة من شجرة مباركة ، ولابد من اثبات الكيفية التى تمت بها اعادة كتابة التوراة بشكل يرتضيه العلم ولاسبيل الى ذلك ، وتوراة اليهود تخالف توراة النصارى ، وتوراة السامرة من اليهود تخالف التوراتين السابقين . وأما الاناجيل الاربعة المعترف بها فهى من جملة اناجيل تبلغ العشرات كتبت جميعها بعد رفع المسيح عليه السلام.

ولم تعتمد رسميا الا فى القرن الرابع المسيحى وذلك ان اليهود قاتلهم الله حينما حرضوا الرومان على قتل المسيح ووشوابه اليهم وسعوا للقضاء عليه وعلى دعوته شدد الرومان الحملة على المسيح واتباعه فرفع المسيح عليه السلام وشرد اتباعه فى الارض وتخفوا بدينهم وفى هذه الاثناء دخل بولص اليهودى فى المسيحية لافسادها ، وزعم ان المسيح تجلى له وانه يتلقى الانجيل من المسيح مباشرة وانه لايجوز اخذ الانجيل من غيره اى من غير بولص فكتب انجيله ودس فيه ما دس من تعاليم الوثنية الباطلة وروج لهذا الانجيل وجمع حوله اناسا يقولون بقوله فانتشرت آراؤه فى الناس ووضعت فى المقابل اناجيل اخرى ووقع التعارض فيما بينها وثار النزاع حول المسيح وحقيقة شخصيته وعم الجدل فعقد مجمع نيقية عام (٣٢٥) لوضع حد لهذه المنازعات فى عهد الملك قسطنطين الذى كان قد تنصر بتأثير امه وعرض فى هذا المجمع سبعون انجيلا وبعد اخذ ورد وقع اختيار الملك ومن معه على الاناجيل الاربعة

Made With Pdf Office

ورفض غيرها واعتبرت غير قانونية ، والزم الناس رسميا بهذه الاناجيل على ما فيها .وهذه الاناجيل متعارضة فيما بينها وكل واحد منها يخالف الآخر ولا نكون مبالغين ابدا ان قلنا ان كل صفحة منها يوجد فيهاما يخالف غيرها من سائر الاناجيل ، وهى مختلفة فى الحادثة الواحدة والشخص الواحد والقصة الواحدة ، وهى فى الحقيقة عبارة عن تواريخ ومذكرات كتبها اناس وضعت اسماؤهم عليها أو نسبت اليهم وهى خليط من كلام المسيح وكلام الانجيل وسيرو وقائع جرت مع المسيح عليه السلام ، وهى مليئة بالخرافات والكفريات والضلال ويتخلل ذلك شيء من الزهديات التى تعتبر كل شيء فى الاناجيل . والنزاع قائم فى كل ما يتعلق بهذه الاناجيل فهى غير مسلمة شكلا وموضوعا ولا نعرف تماما اللغة التي كتبت بها هذه الاناجيل ولاتاريخ كتابتهاولا الاشخاص الذين كتبوها .

ولو كانت هذه الكتب مسلمة الثبوت من حيث السند لكان كافيا لفقدان الثقة بها الترجمات التى تعرضت لها اذ انه من الثابت ان الترجمة تقتل النص وتفقده جوهره ، والترجمة الحقيقية المطابقة للاصل لا يمكن ان توجد اصلا . ومع ما فى هذه الاناجيل من الاباطيل والتحريفات فان الله سبحانه حفظ فيها ما يقيم به الحجة عليهم من التبشير بمحمد عليه الصلاة والسلام ففى انجيل يوحنا : (٧ : لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانى ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فاما ان انطلقت ارسلته اليكم . (١٢ : وان لى كلاما كثيرا اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الان . ١٣ واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى . فهذا الكلام لا يمكن حمله : إلا على محمد عليه الصلاة والسلام مع وجود انجيل برنابا الذي يوافق القرآن فى كثير مما قاله عن المسيحية ويقيم الحجة على النصارى ويخالف الاناجيل الاخرى المعتبرة فىأسسهاوعقائدها الكبرى ، وهذا الانجيل اكتشف فى الغرب ولم يعرف فى الشرق بل قالوا انه وجد فى مكتبة احد البابوات وكان سببا فى اسلا مالقيم على تلك المكتبة .

هذه هى كتب المبشرين التى يريدون من المسلمين ان يتخلوا عن قرآنهم لاجلها يريدون ان نتخلى عن قرآننا الذى تعرف كل سورة منه بل كل آية متى نزلت وأين نزلت ولماذا نزلت وتعرف اللغة التى نزلت بها ودون منذ اللحظة التى نزل فيها واستظهره الناس لفورهم وتلوه فى صلواتهم ليل نهار وتعلمه طلاب العلم فى المساجد والمدارس وتدارسته الصبية فى الكتاتيب والنساء فى البيوت وانطلق به المجاهدون فى ارجاءالارض والذى لم يتعرض لترجمة اصلا فهو يحتفظ وسيبقى بحفظ الله محتفظا بطابعه الذى نزل فيه ، مع خلوه من التناقض والتضارب واحتوائه لمنهج

Made With Pdf Office

متكامل فى العقيدة والشريعة والعبادة والاخلاق ، واعطائه تفسيرا سليما سديدا عن الكون والحياة والانسان، مع ثبوته بجدارة واعتزاز أمام النظر العلمى المتجرد فى كل ما ذكر . مع شهادة الواقع والتاريخ على تلك الجدارة : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ان هذا القرآن يهدى هى أقوم — كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون. فهذا هو القرآن وهذه هى الاناجيل فياحسرة على عباد يعطلون عقولهم ويكابرون الواقع ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما الرسول الذى يزعم المبشرون اتباعه فهو المسيح عليه السلام ، وهو نبى كريم وهو عبد الله ورسوله وقد ادى رسالة ربه ومهد لظهور أخيه محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكن المعروف من حياة المسيح عليه السلام وهديه فى شؤونه الخاصة والعامة لايكفى بشكل من الاشكال لجعل تلك السيرة قدوة ومنهاجا لانسان يؤمن بالمسيح ويريد ان يتبعه ورغم قصر المدة التى قضاها المسيح عليه السلام فى التبليغ ورغم رفع الله له الى السماء فى سن مبكرة فان شطرا كبيرا من تلك المدة القصيرة مجهول غير محفوظ ، فبعض المواعظ والرقائق مع بعض التعديلات فى التوراة لايكفى لامة تحتاج فى كل ناحية من نواحى حياتها لمرشد يهديها سبيل الرشاد ، وهل هذا المرشد الا هذا النبى . واذا لم تحفظ الايام حياة النبى وسيرته بشكل مفصل وواف ومقبول ، ومنقول نقلا صحيحا فكيف نتبعه . وأمام هذا نستطيع أن نقول بدون تردد فى النبي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام : ان أمته لم تفقد منه فعلا الا جسده الشريف وأما أقواله وأعماله وشؤون حياته كلها فى مجالاته الخاصة والعامة بل حتى شؤونه الشخصية البحت من أكله وشربه ونومه واستيقاظه وضحكه وتبسمه وملابسه واوانيه ودوابه واسماء هذه الدواب وجلوسه ومشيه واتكائه والتفاته وشكله ولونه وطوله وعرضه ولون شعره وبشره وغير ذلك من جميع شمائله وخصائصه وشؤون حياته وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد كل ذلك قد دون وأحصى ودرس وسجل فى كتب السير والشمائل والتاريخ بشكل لا مزيد عليه ونقل كل ذلك الينا بطريق علمية تبهر علماء التاريخ من الاوروبيين ، مع حفظ اسماء النقلة واحوالهم وكتبهم . ومن اراد ان يتتبع حياة الرسول عليه الصلاة والسلام من قبل ولادته الى انتقاله الى الرفيق الاعلى ويعيش معه حياته المباركة بكل تفاصيلها الجليلة والدقيقة من شؤون الحكم والملك والسياسة الى شؤون البيت ومداعبة الاطفال وملاطفة النساء الى خصف النعل

Made With Pdf Office

وغير ذلك من كل ما يخطر ببالك من شأنه ما عليه الا ان يقرأ كتب السيرة والشمائل وحسبه من ذلك على سبيل المثال ، كتاب زاد المعاد لابن القيم رحمه الله وكتاب الشفا للقاضى عياض رحمه الله وكتاب الشمائل للامام الترمذي رحمه الله ، وكتاب السيرة النبوية لابن هشام وامتاع الاسماع للمقريزى وعيون الاثر لابن سيد الناس ، مع كتب التاريخ التى لاسبيل الى حصرها ، وهذه الكتب زيادة على المعروف المشهور من كتب السنة المتداولة كالصحاح والسنن والمسانيد فى هذه الحياة الكريمة والسيرة العطرة يجد المسلم كل ما يحتاج اليه فى حياته الخاصة والعامة . وليقل بعد هذا كل عاقل هل من تكريم العقل والعدل والعلم والانصاف ان يعدل الانسان عن هذه السيرة الكاملة والمحفوظة والمضبوطة والمنقولة نقلا صحيحا لاشك فيه الى سيرة مجهولة ناقصة المحفوظ منها لايفى بحاجة الانسان فى أية ناحية يستفتيها ومع جهالتها ونقصها لم تنقل نقلا صحيحا . وكما أن القرآن الكريم هو الكتب السماوى الوحيد الذى حفظه الله وصانه ووضع فيه اسس السعادة والصلاح لكل زمان ومكان ويمثل بين دفتيه حكم الله خالصا وقادرا على تنظيم حياة الانسان فى كل مجالاتها ، فكذلك سيرة الرسول عليه الصلاة ، هى السيرة المحفوظة المتكاملة الوحيدة والقادرة على مد الانسان بكل ما يحتاج اليه فى دقائق حياته كلها .

وبعد هذا كله فما الذى قدمته النصرانية للانسان عبر التاريخ ، أى حل قدمته للانسان فى مشاكله العقائدية والاخلاقية والتشريعية، وما هى القيم التى قدمتها وما هى المثل التى صدرتها ، وما هى الامجاد التى حققتها وما هى الحضارة التى نشأت فى ظلها ورعايتها ؟

ان الذى يحفظه التاريخ للمسيحية من كل ذلك باختصار شديد هو ما يلى جماعة من رجال الدين فى كل عصر تستطيل على الناس بسلطانها الدينى وتتطاول على كراسى الحكم بغير حق وتدعى لنفسها انها ظل الله فى الارض فتتحكم فى رقاب البشر باسم الله والله من كل ذلك الظلم برىء ، وتخدر الناس بالرضا بالواقع لانه حكم الله . وتعتبر كل خروج على آرائها خروجا على الله ، وتقمع جميع الحركات التحررية والعلمية ، وتخنق الثورات والنهضات بهذه الحجة ونجعل حصيلة كل ذلك وسيلة لشهوات حفنة قليلة من رجال الدين برآسة البابا ، وقد كان لموقف رجال الدين من النهضة العلمية فى أوروبا ضرره البالغ على الديانات كلها فى العالم وعلى الاسلام بوجه اخص ، وذلك حينما وقفت العقول المتحجرة سدا منيعا أمام التيار العلمى المتدفق وحرمت على الناس استخدام حقهم الطبيعى فى التفكير والابداع وبررت ذلك التحجير والتحريم باسم الدين .

كفر العلماء بذلك الدين المتحجر الذى يقاوم وجودهم ويهددهم فى

Made With Pdf Office

حياتهم وفى مبتكراتهم العلمية ويكرههم على البقاء فى ظلمة الجهل والتخلف ، وكنتيجة طبيعية لهذا الموقف نشأت الحركة العلمية فى ظل الالحاد ثم غزت العالم كله وهى تحمل هذا الطابع ، وتنفر بالتالى من كل دين ومن كل ما يمت الى الله بصلة ، وقد نسيت أن تميز فى حركة اندفاعها وشرودها عن الكنيسة وعن دينها ورجالها ان تميز بين دين ودين وحكمت على الديانات كلها بالاعدام واعتبرتها منافية للعقل والعلم واخرجتها بذلك من ميدان الحقائق العلمية المسلمة الى عالم الخرافات والاحلام والشعوذة ففقدت الديانات بذلك قدسيتها وتأثيرها على الناس ، واصبح الدين كالمجرم الذى ادين ووضع فى قفص الاتهام ، وعلى اثر انزواء الدين من المجتمعات طغت فيها مردة الابالسة من الملاحدة وخرج الامر كله بذلك من يد أهل الخير والصلاح .

هذا ما جنته الكنيسة على الانسانية فى الماضى والحاضر ، وهذا ما قدمته لها ، واما قيم الاسلام ومثله العليا ورسالته التى انقذ بها العالم والحضارة الانسانية الشاملة التى شيد صروحها والحركات العلمية التى انبتها نباتا حسنا فى ظل رعايته عبر التاريخ شىء يغنينا اشتهاره عن الاطالة فيه ، ولا تزال آثاره ماثلة على مرأى من الاوروبيين فى بلادهم وفى التراث العلمى العريق الذى خلفه المسلمون فى مكتبتهم الزاخرة العامرة.

والسؤال الذى يهجم على الانسان الان بعد ما تقدم هو ما يلى : اذا كانت للمسلمين هذه الحصانة فى العقيدة والشريعة والكتاب والرسول وهذه الامجاد التاريخية فكيف يتسرب الى صفوفهم المبشرون وهم من وصفت فى العقيدة والشريعة والرسول والكتاب والتاريخ ؟ والجواب عن هذا السؤال هو ان المبشرين لم يأتوا الى المسلمين بشىء أفضل مما عندهم فيما ذكر ولكنهم وجدوا فى المسلمين ثغرتين كبيرتين تسربوا منهما الى بيوت المسلمين وقلوبهم . هاتان الثغرتان هما تخلف المسلمين الاقتصادي وتخلفهم العملي واما التخلف الاقتصادى فأمر ينتظم العالم الاسلامى كله والفقر المدفع عامل مشترك بين ابناء الامة الاسلامية التى تتربع على منابع الثروات العالمية والتخلف الاقتصادى فى الحقيقة نتيجة طبيعية للتخلف العلمى الذى يعانى منه المسلمون فى كل ميدان من ميادين الحياة .

ان المسلمين بحاجة الى الكثير من فقه المادة ان صح هذا التعبير ليعرفوا كيف يستغلون هذه الثروات الطبيعية الهائلة التى يجثمون فوقها والتى يسرقها اعداؤهم على مرأى منهم ومسمع . والانعاش الاقتصادى ليس فى الحقيقة الا جزءا من انعاش عام يشمل جميع جوانب الحياة فى الامة ، فما لم يعرف المسلمون كيف يحسنون الاستفادة من الكنوز التى يملكون مفاتيحها سيبقون فى حاجة دائمة لعدوهم الذى يجود عليهم بمالهم

Made With Pdf Office

مقابل الخروج عن دينهم والتنكر لتراثهم . وقد قيل قديما : اذا ذهب الفقر الى بلد قا ل له الكفر خذنى معك وهذا يبين السبب الذى يبيع به بعض ضعاف الايمان من المسلمين دينهم برغيف يبقى لهم حياتهم ، والسبب هو جهلهم بدينهم وبأساليب الحياة الحديثة وبمبتكرات الحركة العلمية التي وضع أسلافهم أصولها باعتراف أعدائهم .

وأما جهلهم بدينهم فقد سمع للمبشرين بان يدسوا على الاسلام ما شاؤوا من مفتريات واباطيل وبأن يشوهوا جمال الاسلام فى نفوس اهله ويزعزعوا مكانة ذلك الدين فى قلوب ابنائه مما يضعف روح المقاومة عندهم ويوجد لديهم قابلية الانهزام والتبعية والذوبان مما يمهد الطريق امام المبشرين لسلخهم عن دينهم .

واما عدم الاخذ باسباب الحياة العلمية الحديثة فقد جعل المسلمين يعجبون بما لدى اعدائهم من تقدم علمى هائل يتصاغر امامه الانسان الجاهل ، ويفتن بما يرى ويكبر فى نفسه وفى عينه من تحققت تلك المعجزات على يديه ومن جلبها الى بلاده وبالتالى وكنتيجة طبيعية يزدرى ما عنده وهنايصل المبشرون الى الغاية المنشودة حيث تسقط عزة المسلم الجاهل اما بريق الحضارة الخداع فيزداد تضاؤلا فى نفسه وتعظيما لغيره حريصا كل الحرص على تقليد من شاد هذه الحضارة ورفع منارتها مستعدا لبذل مالديه من دين وخلق فى سبيل التشبه بهم .

هاتان هما الثغرتان الكبيرتان فى واقع المسلمين نفذ منهما المبشرون واسيادهم المستعمرون الى نفوس المسلمين وبلدانهم ، واستطاعوا ان يوقعوا فى شباكهم فريقين من الناس: فريق جائع محتاج ساوموه على حياته واشتروه ، وفريق جاهل غرروا به وضللوه واما ان يكسبوا لدينهم مسلما واحدا عن ايمان وقناعة فلا سبيل اليه ابدا ، لان دينا لايفهمه الداعون اليه اجدر ان لايفهمه المدعون وهذان الفريقان من ضحايا المبشرين لايؤبه لهما فى الحقيقة ازاء مااستطاع هؤلاء ان يحققوه فى مجال آخر بقى على ولائه الاسمى للاسلام ولكن جوهره قد تدنس بكل اباطيل المبشرين وخبائثهم ، هذا المجال هو مجال المثقفين المسلمين . ان كان المبشرون قد استطاعوا ان يشتروا بعض المعوزين ويضللوا بعض الجاهلين فانهم قداستطاعوا انيشككوا الجمهور الاعظم من المثقفين ويزعزعوا ايمانهم ويهزوا يقينهم ويخدروا شعورهم الدينى بحيث يكون الباقى منهم على دينه ، مشلولا مخدرا قلقا نهبا للصراع النفسى العنيف بين عقيدته والشبهات التى القيت حول هذه العقيدة ، وكثيرا ما انتهى هذا الامر بهذا الصنف من المثقفين الى الارتداد العملى عن الاسلام وان لم يصحب ذلك تصريح باعلان الارتداد . وما هذه الموجة

Made With Pdf Office

العارمة من الارتداد والتى تجتاح المثقفين المسلمين الا حصاد طبيعى لما زرعه المبشرون من بذور التشكيك فى قلوبهم ، ومجال التشكيك والتضليل هو أهم ما يستهدفه المبشرون ويقنعون بذلك امام صلابة العقيدة الاسلامية وقوتها . وقد خطط المبشرون وأولياء امورهم من المستعمرين لمن وقع فى حبائلهم من المثقفين ووضعوا مقدرات الامة الاسلامية فى ايديهم وجعلوا الكثيرين منهم فى مراكز الحكم والتوجيه وذلك اما ليستمروا فى اداء مهمتهم التخريبية فى ظل هذا النوع من المسؤولين الذين ربوهم على اعينهم ونشؤوهم فى حضانتهم ورعايتهم واما لكى ينوب هذا النوع من المسؤولين فى القيام بمهمة المبشرين فى بلاد المسلمين من حرب لدينهم وصرف لهم عن تراثهم وتاريخهم وحمل لهم على الانسلاخ عن قيمهم فى القلب والقالب .

وقد استطاع هذا النوع الجديد من المبشرين المحليين ان يخربوا بشكل اعظم من المبشرين الاباعد ، وذلك مستترين بالفلالة الرقيقة من الاسماء الاسلامية التى تنم عما تحتها من المخازى والفضائح .

ان المسلمين يجابهون بقوى لاطاقة لهم بها وهم على وضعهم الحالى ، فهناك المبشرون المفسدون فى المجال الفكرى ، ومن خلفهم المستعمرون المفسدون فى جميع المجالات ومعهم عملاؤهم فى الداخل من ابناء المسلمين المخدوعين بهم ، ووراء كل ذلك اليهودية العالمية باساليبها الماكرة التى توجه السياسة العالمية ، ومع هذا الجيش الهائل من الاعداء فان عزيمة الشباب المؤمن (ذخيرة هذه الامة) لاتلين ولا تضعف وهى تثق بنصر الله وتأييده ولن يزيدها تكالب الاعداء وتألبهم على دينه وامته الا مضاعفة النشاط والجهاد والتصميم على النصر حتى النهاية .

وبعد فهذه معلومات أولية واساسية فى هذا الموضوع وكل فقرة منه تصلح ان تكون مقالة مستقلة والفكرة ككل لايتسع لهاكتاب ولكن ان هى الا محاولة عاجلة وعابرة . مع علمى بأن المسيحية اضعف عدو يمكن ان يجابه الاسلام ، وان التيارات الملحدة التى تكتسح الشباب فى العالم الاسلامى هى الخطر الحقيقى والاكيد على الاسلام ولكن نظرا لان دعوات التبشير وارسالياته تمد تلك التيارات الملحدة بهذا الشباب المرتد بما تتسبب به من تشكيك فى الاسلام وصرف عنه وحرب له ، فتكون بذلك بمثابة المورد بالخامات لتلك التيارات اقتضى التنويه على أصل الخطر مع عدم الغفلة عن الفرع .

Made With Pdf Office